

التغاير والتمايز في العقيدة الشيعية الخلق من طين موضوعا

Heterogeneity and differentiation in the Shiite doctrine of creation from clay is a subject

أ . د . سامي جودة الزيدي *

جامعة ذي قار / مركز ذي قار للدراسات التاريخية

Dr.samijoudahbaeed@utq.iq

تاريخ الاستلام: 2025/02/02 تاريخ القبول: 2025/03/02 تاريخ النشر: 2025/05/18

ملخص

حاولت المدونة التاريخية المتخيلة ان تصور ولادة الائمة عبر أيديولوجية تبنتها في تمرير افكارا مغالية ، اريد منها الارتفاع بالإمام الى مقام اعلى من البشر كحالة تعويضية عن الاحساس بالحرمان الدنيوي الذي فقده ائمة اهل البيت في ظل السياسات المتعاقبة على حكم الدولة الاسلامية ، لذلك عملت منظومة الغلو على ايجاد مجال يتسع للإمام في ممارسة حقه في الدنيوي في الخلافة ، فعملت على تأطير الحق بفعل مقدس من خلال الولادات المختلفة للائمة ، فتارة تكون الولادة من نور ، وتارة اخرى تكون من طين مختلف عن طين البشر العاديين ، فهو طين من السماء ، اما من عليين او من تحت العرش ، او طين من طين الجنة . كما عملت على ان تكون طينة الاعداء والمخالفين من طينة النار ، او من حمأ مسنون ، وفي النهاية لابد ان تعود كلا الطينتين الى اصلهم ، فطينة الائمة وشيعتهم الى الجنة ، ومخالفهم الى النار .

الكلمات المفتاحية : التغاير ، التمايز ، العقيدة ، الشيعة ، الخلق ، الطين

Abstract:

The imaginary historical blog tried to depict the birth of the Imams through an ideology that it adopted in passing extremist ideas, which were intended to raise the Imam to a higher position than humans as a compensatory case for the feeling of worldly deprivation that the Imams of the Household of the Prophet lost under the successive policies of the rule of the Islamic state. Therefore, the system of extremism worked to create a space that would expand for the Imam to practice his worldly right in the caliphate, so it worked to frame the right with a sacred act through the different births of the Imams. Sometimes the birth is from light, and other times it is from a clay different from the clay of ordinary humans, as it is clay from the sky, either from the highest or from under the throne, or clay from the clay of Paradise. It also worked to make the clay of the enemies and opponents from the clay of fire, or from aged mud, and in the end both clays must return to their origins, the clay of the Imams and their followers to Paradise, and their opponents to Hell .

Keywords: heterogeneity, differentiation, doctrine, Shiism, creation, clay

المقدمة :

الشيعية من الفرق الاسلامية التي لا تختلف في عقيدتها عن غيرها من المذاهب الاسلامية الاخرى ، وقد تعددت الآراء فيها ، والانقسام ، ودخلت عليها الكثير من العقائد المغالية ، الروايات الموضوعة التي عمل المتخيل الروائي المغالي على صناعتها ، وهي جزء من عقيدة متطرفة ، تسربت فيما بعد الى المدونة واخذت مجالها المعرفي فيها . وقد حاول هذا البحث عن الكشف عن تلك المرويات التي غالت كثيرة في الائمة ، لا سيما ولاداتهم اللاهوتية ، والتي اطرتها المدونة بإطار مقدس ، محاولة ان تخلق للإمام مقام فوق مقام البشر العادي من خلال الخلق المختلف ، وهو اما ان يكون من نور ، او من طين ، او من كأس ماء من تحت العرش ، اما الطين فهو طين من الجنة ، خاتمة لابد ان تكون الى الجنة ، خلق منه الامام ، ومن فاضل الطين خلق شيعته ومحبيه ، اما الطين الاخر فهو طين من نار خلق منه اعداء اهل البيت من الائمة ، ونهايته الخاتمة الى النار . وفي المرويات ان الامام يخلق من ماء من تحت العرش ، يتحول الى نطفة بمجرد ان يجامع الامام زوجته لتنجب امام خليفة للإمام الاب وهكذا . والحقيقة ان المنظومة الشيعية العقلانية ترفض مثل هذه المرويات التي لا تستند الى المنطق العقلي ، ولا يمكن ان تكون من عقائد الشيعية الامامية ، وحتى وان وجدت في كتبهم المعتبرة فهي متسللة الى تلك المدونة دون مراجعة وتمحيص ، ولا تعتقد الشيعية بصحة جميع الكتب انما يقبلون نقدها وتمحيصها ، وربما عرضوا كل كتبهم للجرح والتعديل .

الخلق من طين :

لقد اشار القرآن بما لا يقبل الشك ان اصل خلق الانسان من تراب (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ) ⁽¹⁾ وان البشر خلقوا جميعهم من هذا الاصل الواحد الذي نجده يرد في الديانات السماوية الاخرى كما يرد في القرآن (وَجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةً حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً) ⁽²⁾ . ولكي يبين الله ان اصل آدم التراب كونه ولد خارج نظام الولادات الطبيعية فان عيسى الذي ليس له ابا تشكلت خلقته بنفس الطريقة التي تشكل فيها آدم (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) ⁽³⁾. ثم ان هذا التراب ليس بمقدوره ان يعجن دون ان يدخل الماء عامل مضافا اليه كي يتم خلق الانسان منه (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) ⁽⁴⁾ بمعنى ان مراحل خلق الانسان كما جاء في القرآن مرت بمراحل متعددة، اولها: المرحلة الترابية التي كان الانسان فيها ما زال ترابا بعد . ثانيها: مرحلة الطين أي ان الماء اضيف الى التراب ليكون طينا (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) ⁽⁵⁾. كذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ) ⁽⁶⁾ . فالتراب بعد ان اختلط بالماء صار طين لازب، أي اخذ صفة الجمود، (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ) ⁽⁷⁾. وثالثهما: ان الطين يتحول الى صلصال من حمأ مسنون (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) ⁽⁸⁾. والصلصال الطين اليابس يسمع له صلصلة ⁽⁹⁾. اما الحمأ المسنون فهو المتغير الريح النتن ⁽¹⁰⁾ رابعهما: المرحلة الفخارية التي يتحول فيها الطين الصلصال الى فخار (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) ⁽¹¹⁾. هذا الترتيب الذي ذكره القرآن في قصة خلق الانسان الاول، لم يذكر الله ان انسانا اختلف عن غيره في الخلق انما كل الناس خلقوا من نفس واحدة (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْحَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) ⁽¹²⁾. وفي الحديث عن النبي يصور فيه كيفية خلق الله للبشر في قوله: (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحرز، والخبث، والطيب) ⁽¹³⁾ .

لكن الروايات الشيعية المغالية والمتخيلة ابت الا ان تجعل هناك تفاوت في خلق الانسان حتى وان كان من طين فليس الطين واحد في الخلقة، فطينة ائمة اهل البيت وشيعتهم هي ليست ذات الطينة التي خلق منها عامة الناس، هذه الطينة التي لا يمكن لها ان ترتكب المعاصي والآثام فهي مزكاة مصيرها الى الجنة، اما ما يرى منها من اعمال وموبقات ما هي الا اختلاط بعض من طينة العامة في طينة الشيعة، وان ما نراه من طاعات واعمال صالحة عند العامة هو ما اختلط من طينة اهل البيت والشيعة مع طينة العامة وان الله يوم القيامة سوف يرجع كل الى اصله فيدخل الشيعة الجنة ويدخل غير الموالين لأهل البيت النار . وهذه العقيدة تعرف بعقيدة الطينة عند الشيعة على الرغم من عدم التصريح بها علانية الا ان كتبهم احتوت على روايات عديدة تصل في كتاب الكافي الى سبع روايات عنونها تحت باب (طينة المؤمن وطينة الكافر) ، وفي كتاب بحار الانوار تصل الى سبع وستون رواية وضعها تحت باب (الطينة والميثاق) . فقد جاء في الموروث الشيعي ان ابو اسحاق الليثي سأل الامام الباقر عن سبب ارتكاب المؤمن الشيعي للآثام مع انه شيعي موال، وقد عللت الرواية ذلك على لسان الباقر: (فكان مما خلق الله عز وجل أرضا طيبة ، ثم فجر منها ماء عذبا زلالا ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها ، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقتها وعمها ، ثم نضب ذلك الماء عنها ، وأخذ من صفوة ذلك الطين طينا فجعله طين الأئمة عليهم السلام ، ثم أخذ ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعة ، ولو ترك طينكم يا إبراهيم على حاله كما ترك طينتنا لكنتم ونحن شيئا واحدا . قلت : يا بن رسول الله فما فعل بطينتنا ؟ قال : أخبرك يا إبراهيم خلق الله عز وجل بعد ذلك أرضا سبخة خبيثة منتنة ، ثم فجر منها ماء أجاجا ، أسنا، مالحا ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقتها وعمها ، ثم نضب ذلك الماء عنها ، ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهم ، ثم مزجه بثقل طينكم ، ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا أدوا أمانة ولا أشبهوكم في الصور ، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته . قلت : يا بن رسول الله فما صنع بالطينتين ؟ قال : مزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني ، ثم عركهما عرك الأديم ، ثم أخذ من ذلك قبضة فقال : هذه إلى الجنة ولا أبالي وأخذ قبضة أخرى وقال : هذه إلى النار ولا أبالي ؛ ثم خلط بينهما فوق من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته ، فما رأيته من شيعة من زنا، أو لواط ، أو ترك صلاة ، أو صيام ، أو حج ، أو جهاد ، أو خيانة ، أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لان من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر ؛ وما رأيته من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لان من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم ، فإذا عرضت هذه الاعمال كلها على الله عز وجل قال : أنا عدل لا أجور ، ومنصف لا أظلم ، وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط ، الحقوا الاعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته ، وألحقوا الاعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردها كلها إلى أصلها)⁽¹⁴⁾.

يحاول المتخيل ان يعطي لنا فواصل ومغايرات في الخلقة البشرية فهو يذهب الى تقسيم الناس الى طينتين متعددة بما يتوافق مع الايديولوجية التي يسعى الى تثبيتها ونشرها بين اتباعه فالمتخيل يتناول رواياته بعد ان يعطيها بعدها التاريخي وكذلك بعدها القدسي عندما تكون الرواية بسند موضوع على لسان احد ائمة اهل البيت ليكون اكثر حضورا

في الذهنية الشيعية ففي رواية يضعها الراوي على لسان الامام الصادق قال : إن الله عندما خلق المؤمن خلقه من طينة الجنة وعندما خلق الكافر خلقه من طينة النار ، وقال : اما إذا أراد الله بإنسان خيرا فطر روحه وجسده على ذلك فلا يرى شيئا من الخير إلا فعله ولا يرى شيئا من منكر إلا أنكره ، ثم نسب اليه انه قال : الطينات ثلاث : طينة الأنبياء ، وطينة الناصب ، وطينة المستضعفين ، فالمؤمن من طينة الأنبياء وهم من صفوتها ، والانبيااء والاولصياء هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون هم الفرع من طين لازب ، ولا يفرق الله بين الانبياء والاولصياء وبين شيعتهم ، وقال : اما الناصب فطينته من حمأ مسنون ، وأما المستضعفون فمن التراب ، وقد اوجب الله ان لا يتحول مؤمن عن الإيمان ولا يتحول الناصب عن نصبه والله ما شاء فيه ⁽¹⁵⁾ . لقد راهن الاسلام على عقل المسلم في اكتشاف العديد من الآيات الكونية واستخدام الطبيعة ولم يحيله الى المعجزة سيما ما جاء في القرآن من عدم الاعتبار بالمعجزة التي طالبوا بها المشركين محمد عند اول بعثته، كأن تنزل عليهم الملائكة او ينزل عليهم كتاب من السماء ، او مطالبهم بعلامات وآيات عديدة ، فكان جواب القرآن عليهم بأن يلتفتوا الى ما حولهم عقلا وينظروا في خلق السموات والارض وحتى في انفسهم. وهي احالات الى النظر العقلي للإنسان دون المعجزة ، فالقرآن حاول ان ينتقل بالإيمان من المعجزة الحسية الى التفكير العلمي المنطقي ، وان يعتمد الإنسان على اكتشاف ما يستطيع الوصول اليه عن طريق استخدام اقصى امكانيات العقل دون الركون الى انتظار المعجزة، او الخارقة، كون المجتمعات اصبح اكثر رقيا مما كانت عليه ايام الانبياء السابقين، وان آليات التفكير الجديدة تستدعي من الإنسان ان يستخدم عقلها في الاكتشاف والتقصي .

ان محاولة الخروج بالروايات من التاريخ الى المتخيل في الموروث الشيعي نجدها بارزة وواضحة، ولعل سبب ذلك يعود الى حالة التعويض عن فقدان والحرمان الذي عانى منه الشيعة على طول التاريخ . فالتاريخ يشهد على مدى الاضطهاد والاستبداد الذي مورس بحق الطائفة الشيعية، ومحاصرة توجهاتهم الفكرية والعقدية، مما دفعهم على طول خط التاريخ الى الوقوف في كفة المعارضة . كما ان السلطة الحاكمة عملت على تبني فكريا مغايرا اقصائيا بحقهم، دفعتهم دائما الى محاولة الخروج مما هو ارضي الى ما هو سماوي كحالة تعويضية عن اضطهاد مستمر. الشيعة يؤمنون بالنص على ائمتهم الاثنا عشر نصا سماويا مدعوما بتأويلات للنص الالهي واحاديث معتبرة في كتب الفريقين⁽¹⁶⁾، مما جعلهم ينظرون على وفق اعتقادهم الى ان الامامة حق مغصوب . لذلك عملوا ان يغالوا في الائمة من اهل البيت والارتفاع بهم نحو السماء من خلال جعلهم يتحكمون في ادارة الكون وان اليهم مرجع الامور وان خلقهم قبل آدم، وانهم علة خلق الكون كله. ليجعلوا من اعتقادهم اعظم من غيرهم الدنيويين، فكانت الطينة التي خلق منها ائمة اهل البيت والانبيااء ومن فاضل تلك الطينة خلق الشيعة هي طينة طاهرة مميزة لا يشوبها شائبة وعن صالح بن سهل قال : قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق : جعلت فداك من أي طينة خلق الله المؤمن فقال : من طينة الأنبياء ، فلا تنجس أبدا ⁽¹⁷⁾. فطينة اهل البيت من الجنة على عكس عامة الناس الذين خلقوا من طينة من نار (حمأ مسنون) لتعود الى النار، فكل شيء يعود الى اصله . وفي رواية تنسب الى أبي جعفر الباقر يقول: إن الله خلقنا من أعلى عليين ، وخلق لشيعتنا قلوب مما خلقنا منه ، وخلق لهم أبدان من دون ذلك ، ولأنها خلقت مما خلقنا منه ، فقلوبهم تهوي إلينا... وخلق عدونا من طين النار، وخلق لشيعتهم قلوب مما خلقهم منه ، اما أبدانهم فقد خلقت من دون ذلك ، فقلوبهم تهوي إليهم ، لأنها خلقت مما خلقوا منه ⁽¹⁸⁾ نجد ان المتخيل يستخف كثيرا بعقل المتلقي ويحاول ان يجعله

يعيش التفاصيل على انها تفاصيل تاريخية بينما هي تصورات وضعتها اقلام لغرض تمرير افكار عقدية غايتها خدمة مذهب التشيع، فكيف للعقل ان يقبل بأن اهل البيت خلقوا من اعلى عليين، وكذلك خلقوا شيعتهم فهل يصح ان يكون الطين في اعلى عليين ؟ والقرآن والعقل والمنطق يقول بأن اصل خلق الانسان الارض كونه خلق من طينها، ولا يمكن ان يكون الطين في عليين استحالة ذلك كون السماء مادتها دخانيه ولا يمكن ان تكون من تراب .

وفي رواية تنسب الى الامام الصادق قال : أن الله أخذ طينة من الجنة واخذ طينة من النار ، فمزجها ، ثم نزع هذه الطينة من تلك ، فما كان من أولئك المؤمنين من الأمانة وحسن السيرة والخلق فمما بهم من طينة الجنة ، فهم يعودون إلى اصل طينتهم التي خلقوا منها ، وما رأيت من أولئك من الخيانة والخبث وسوء الخلق ، فمما بهم من طينة النار فهم يعودون إلى اصل طينتهم التي خلقوا منها ⁽¹⁹⁾. اما طينة الجنة فهي غير معروفة وهي من الغيبات التي تلجأ إليها الرواية الشيعية لتحيل متلقيها الى الغيبي المستحيل اثباته عقلا وهذا يخالف النص المقدس في ان مصدرية الخلق هي الارض في قوله تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)(²⁰).

وفي رواية تنسب الى الامام الصادق وهو يفصل في خلق الانسان بين المؤمن والكافر قوله : ان الله عندما اراد ان يخلق في اول ساعة من يوم الجمعة ، بعث جبرئيل ، فقبض من السماء السابعة قبضة وصل بها السماء الدنيا ، ثم انه اخذ ترية من كل سماء ، ثم قبض قبضة من الارض السابعة العليا بلغ بها الارض السابعة السفلى ، ثم ان الله امر كلمته ، ان يمسك التربة الاولى بيمينه ، والتربة الاخرى بشماله ، ثم أمره ان يفلق الطين الى نصفين ، ففلق من التي بيمينه الانبياء والاولياء والمؤمنين والأتقياء واوجب لهم الجنة ، اما التي في شماله فخلق منها الاشقياء والجبارين والكافرين والمشركين والطواغيت ، واوجب لهم النار ⁽²¹⁾ . هذه الرواية تطيح بعقيدة الاختيار وتدعم عقيدة الجبر ⁽²²⁾ التي لا يقول فيها الشيعة مطلقا فكيف للرواية ان تصمد وهي تجعل الانسان مجبرا على فعله كونه خلق من طينة جعلته طاغوتا او كافرا او مشركا او جبارا ، المتخيل لم يهتم بأصل العقيدة حينما وضع روايته وتصويراته انما كان الذي يشغله التمايز والتغاير مع الآخر ، فدأب الغلاة الى التمييز بين ائمة اهل البيت (الاولياء) في الخلق وبين غير الموالين الذين اصطلح عليهم الكفر والجبروت، ففاته ان هذه الرواية تجعل الانسان مجبرا على فعله، وانما خلق من تلك الطينة التي اخذها جبرئيل بشماله . وفي رواية عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده قال: قال: علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، ان الله قد بعث بجبرئيل ليأتيه بطينة من الجنة فاتاه من طينتها ، كما بعث ملك الموت ليأتيه بطينة من الارض فاتاه من طينتها ، فجمع الطينتين ثم قسمها نصفين فجعلنا من خير الطينتين ، وشيعتنا من تلك الطينة ، فاذا ما جرى واركب شخصا من شيعتنا مما لا يرغب به من الاعمال القبيحة ، فذاك مما خالطهم من تلك الطينة الخبيثة ، فيذهب الله بهم الى الجنة ، وأما البر والاحسان الذي في عدونا ومن الأعمال الحسنة فذاك مما خالطهم من طينتنا الطيبة ، ويكون مصيرهم إلى النار ⁽²³⁾.

ان ثنائية الجنة والنار حاضرة في التصور الشيعي الروائي فطينة الجنة هي مما خلق منه اهل البيت وشيعتهم، وطينة النار خلق منها ناصبيهم ومبغضيهم، هذه الثنائية التي ركزت عليها العقائد الاسلامية والتي جعلتها اصلا مستقبليا يسعى اليه المسلم بما اوتي من جهد للحصول على مستقبل آخروي هادئ، حسمته الرواية الشيعية في الحياة الدنيا دون ان تترك للخالق في عالم الاخرة اختيارا آخر، فالطينة التي خلق منها المبعوض لأهل البيت هي طينة النار التي لا بد يوما ان تعود الى اصلها الناري، وترقد في نار حامية كونها كانت مبغضة وناصبة العداء لأهل البيت، مع

ان الروايات تؤكد ان اصل الطين النار فلماذا يخلق الله بشرا من هذه الطينة ويجعلهم مبغضين ، ألم يكن الأولى ان يخلق الجميع من طينة الجنة فيكون الجميع مؤمنين بأهل البيت؟.

فقد جاء في الروايات ما ينسب الى الامام الباقر قوله : (إن الله خلق ، فخلق ما أحب مما أحب وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة ، وخلق ما أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار)⁽²⁴⁾ . وفي تعليق للاسترآبادي (ان المراد هنا هو خلق التقدير لا خلق التكوين محصل المقام انه تعالى قدر ابدانا مخصوصة من طينتين ثم كلف الارواح فظهر منها ما ظهر ، ثم قدر لكل روح ما يليق بها من تلك الابدان المقدرة)⁽²⁵⁾ . وهذا الكلام يحتاج الى دليل تاريخي ، وهو لا يتناسب ومقام العقل في الحكم على الاشياء فكيف للروح ان تختبر دون ولوجها في الجسد وما قيمتها دون وجود الجسد في اظهار سلوكياتها وافعالها ليتبين سيرتها ، فما يدعيه الاسترآبادي من ان الابدان خلقت بالجملة ثم وزعت الارواح على تلك الابدان بعد اختبارها فالتى كانت صالحة انزلها في البدن المخلوق من طين الجنة والتي كانت طالحة انزلها في البدن المخلوق من طينة النار . ولم تكن ساحة الاختبار الارض التي من خلالها يتبين عمل الانسان صالحه من طالحة ، انما كانت السماء التي ليست ساحة مؤهلة لذلك الاختبار الفعلي للأشهر والاختيار من الناس . وهذا يجعلنا نعتقد ان الشروحات التي جاءت على تلك الكتب وضعتها في حيرة من أمرها مما دعاها الى التأويل ومحاولة ايجاد مخارج لتلك الروايات التصويرية التي تشغل نطاق التاريخ والواقع مما يجعل الشارحين يقعون معها في تصورات ومتخيل اخر .

ولم يقف المتخيل الشيعي عند حدود طينة الجنة انما اعطى تصورا اخر عن اصل خلق اهل البيت اذ خلق خيال الراوي بعيدا ليجعل خلق اهل البيت من طينة العرش ففي رواية ان اهل البيت خلقوا من طينة العرش فقد نسب للإمام الصادق قوله: إن الله عندما خلق محمدا خلقه وأهل بيته من طينة العرش فهم على ذلك لا يزيدون ولا ينقصون واحدا⁽²⁶⁾ . ومع ان العرش فسرته الروايات على انه العلم الذي لا يقدر احد قدره⁽²⁷⁾ . اذ قال الامام الصادق: (العرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد وألاين والمشية وصفة الارادة وعلم الالفاظ والحركات وعلم العود والبدء)⁽²⁸⁾ . فكيف يكون لهذا العلم طين يخلق من عنده البشر الا اذا كان ذلك من باب التصور الاعجازي الذي يحيل الى بنية اسطورية تبتعد كثيرا عن الواقع التاريخي فتصبح لا قيمة تاريخية لها . فالطينة التي خلق الله منها اهل البيت لم تكن طينة عادية انما لها مواصفات مختلفة عن غيرها وهي احالة واضحة الى ان المتخيل يحاول ان يصور للمتلقي ان طبيعة الخلق مختلفة بحسب مكانة الانسان وقربه من الساحة الالهية ، فانه لا يساوي في خلقه الائمة مع غيرهم من عامة الناس ، وهذا التصور يناهز بهم عن ما هو ارضي مدنس ، فيظل الحكام والسلطين وممن يتعبدونهم من العامة من اولئك الارضيين الذين انما خلقوا من طينة نارية تعود حيث اصلها (خلقنا نحن وشيعتنا من طينة مخزونة لا يشذ منها شاذا إلى يوم القيمة)⁽²⁹⁾ . هذه الطينة المخزونة هي طينة منتقاة من طين نقي لم تمسه الشوائب وفيه من القدسية التي جعلته مخزونا لخلق الله منه صنفا واحد من البشر ، وهذا يعكس رغبة المتخيل في الانتصار لأهل البيت وشيعتهم من اولئك الدنيويين الغاصبين لحقهم .

لقد تناسى المتخيل الشيعي ان العالم بمكوناته الخلقية كبير ، لا يمكن ان يختصر بطوائف الاسلام فقط ، فكيف بالبشر الاخرين الذين هم في اقصى الارض ولا يعلمون اصلا بالاسلام فضلا عن معرفتهم بشخصه ، فهل طينتهم

طينة مختلفة ايضا ام انها تصنف على طينة عامة المسلمين، وانهم لا محال في النار عودة على بدء ورجوعا الى اصل.

ان الغلو الروائي يضعنا في فخ الرمزية الجاثمة على تفكيرنا اللاشعوري ليتحكم في صياغة سرديات اسطورية يمنحها بعدا مقدسا و آخر تاريخي ، يمرر من خلالها افكارا عقدية تخدم الايديولوجية التي يسعى دائما الى جعلها متحكمة في ذهن الاتباع ، فنحن شعوريا قد لا نقبل بتلك الافكار ونتجاهلها حضوريا ولكننا سرعان ما نقدم لها الاحترام والتبجيل باللاوعي الجمعي ، ونقيم لها الطقوس والماراسيم ، ونحتفل بها واحيانا نضرب بها دليلا لإثبات عقيدة ما . ان العقل الاول للإنسان جرى على قبول ما هو خرافي واسطوري ، وبعد قفزات العلم وتنشيط مهارات العقل اخذ الانسان يرفض كثير من تلك الافكار والحكايات الاسطورية ، الا انه ظل يكتنزها في اللاشعور، فسرعان ما يجد نفسه يمارس شعائرا لا منطقية وطقوس بنيته الرمزية مكتنزه في اعماق الذهن البشري . فالمتخيل الشيعي عمل على حشد الذهن الشيعي بهذه الحكايات والقصص والروايات الاسطورية لجعلها تتسرب الى اعماق الذهن وتحتشد بقوة رمزها المقدس، لتظل غاطسة في اللاشعور ممكن استدعاها في محافل العاطفة واطهارها في حماسة الاشتباك الفكري لتعيد ترميم نفسها بقوة وتندفع على انها حقائق تاريخية تستدعي تصديقها والاحتجاج بها فخيال الراوي يضع رواية على لسان الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: ان لله نهرا دون عرشه، ودون النهر الذي دون عرشه نور من نوره، وان في حافتي النهر روحين مخلوقين، روح القدس وروح من امره ، وان لله عشر طينيات، خمسة من نفح الجنة، وخمسة من الأرض، وان اهل البيت خلقوا من تلك العشر طينيات ونفخ فيهم من الروحين، واما غيرهم فقد خلقوا من طينة واحدة⁽³⁰⁾ ولهذا تجد شيعتنا منتشرين في السموات والارض⁽³¹⁾ . مع ان المتخيل يركز في صناعة روايته على النص المقدس ويؤول ذلك لصالحه (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)⁽³²⁾ . فتحاول الرواية ان تجعل الروح عائدة الى مخلوق اسمه روح من امر ربي، وان البشرية كلها نفخ فيها من هذا الروح ، الا اهل البيت فأن روحين حلت في اجسادهم هي روح القدس وروح من امره ، وانهم خلقوا من ضفتي نهر دون العرش الذي يؤلف عشر طينيات ، فيحاول السياق الروائي ان يجعل خلق اهل البيت خلق متمايزا عن غيرهم وان في اجسادهم من الروح غير ما عند البشر الاخرين ، ثم تؤسس الرواية تصورا اخر مهم ان الشيعة ليسوا فقط في الارض انما ايضا في السماء وان انتشارهم الواسع هذا جاء نتيجة تلك الطينيات العشرة التي خلقوا منها فأين ما حلت فضلة من تلك الطينة كانت شيعة لهم .

ولم يكتفِ المتخيل ان جعل خلق اهل البيت من الطين المخزون وطين الجنة انما جعل خلقهم من طينة من جوهرة كانت تحت العرش فالمتخيل يدفع برواية يحاول من خلالها ان يستمر في ايجاد التمايز في الخلقة، متناسيا ان الخلقة ليست هي اصل الشيء في حسن السلوك والفعل ، انما ذلك يعود الى قدرة الانسان على ضبط غرائزه وانفعالاته ومراقبة افعاله والتحكم في نوازعه الدنيوية ، وهذا ما جعل اهل البيت متمايزين على غيرهم من الناس ، اما ان تكون الطينة التي خلقوا منها هي التي امدتهم بتلك الميزة فذلك من فعل المرويات الاسطورية التي لا تستطيع سد الثغرات التي تتركها في سرد خيالاتها ، لذلك نجد التصور الشيعي الاول المؤسس اكد على الاختلاف الخَلقي في التمايز والتغاير والتفاضل بين اهل البيت وغيرهم، ففي رواية تنسب الى الامام الصادق قال: إن الله خلق محمدا من طينة كانت جوهرة تحت العرش، وكان لهذه الطينة نضح فخلق منها علي بن ابي طالب وهي في الاصل نضح طينة

رسول الله ، وكان طينة علي بن ابي طالب نضح فخلق منها طينتنا من فضل طينة علي ، وكانت لطينتنا نضح فخلق منها شيعتنا ، فهم خلقوا من نضح طينتنا ، لذلك تحن قلوبهم إلينا وقلوبنا تحن لهم ، وتعطف عليهم عطف الوالد على الولد ، فنحن لهم خير ، وهم لنا خير ، ورسول الله خير لنا ونحن خير له (33) .

يحاول السياق الاسطوري في هذه الرواية ان يوظف طاقته كلها ليصور ابعادا ثلاثة يركز عليها في رسم عقيدته التي يسعى الى اثباتها ، اولها: ان طينة رسول الله نضحت فأخرجت علي بن ابي طالب ، كما ان طينة علي نضحت فأخرجت الائمة ، ونضحت طينتهم فخلق منها الشيعة ، وثانيهما : ان هذا النضح الطيني ولد حبا متبادلا بين الائمة وشيعتهم الذين هم من ناضح ذلك الطين، وثالثهما: ان رسول الله يشترك معهم في الحب وتبادل الخير لأنه اساس الطينة التي خلقوا منها . وهنا يغيب المغاير تمام عن ساحة الارتباط بين الرسول والائمة والشيعة، فلا يبقى له محل يمكن ان يكون فيه سوى انه خارج ساحة المقدس، وهو من طينة اخرى مغايرة تستدعي ان يكون بعيدا عن الخير، فلا وشائج بين هذا المغاير والنبي واهل البيت وهذا يؤكد حديث منسوب للصادق قال فيه : إن الله عجن طينة اهل البيت من الائمة وطينة شيعتهم ، فخلطها ببعضها ، فمن كان في خلقه شيء من طينة الائمة حن إليهم ، فصار الشيعة من الائمة (34) .

كما يحاول المتخيل ان يجعل هناك تماهيا واضحا بين النبي محمد وآدم الاب الاسطوري الاول للخلقة، حيث تعرض على الثاني الاسماء ، فكذلك يُفعل مع محمد اذ تزعم بعض المؤلفات ان حديث عن رسول الله تنسب روايته الى الصادق ، قال : إن الله مثّل أمّتي في الطين ، وعلمني أسماءهم كما علم آدم الأسماء كلها ، فمر بي الناس على شكل رايات فاستغفرت لعلي وشيعته ، فوعدني ربي في شيعة علي خصلة ، قيل: يا رسول الله، وما هي ؟ قال: المغفرة ، لأهل التقوى منهم فلا تغادر الصغيرة من الذنوب ولا الكبيرة ، ويبدل الله سيئاتهم بالحسنات . ثم قال : يا علي ، لقد مُثِّلَت لي أمّتي في شكل طين ، حتى لقد رأيتهم جميعا صغارا وكبارا ، وهم أرواحا قبل أن تخلق الأجساد ، وقد مررت بك يا علي وشيعتك فاستغفرت لكم . فقال له علي : زدني يا رسول الله فيهم . قال : نعم ، يا علي تخرج أنت وشيعتك من القبور ووجوههم كالقمر ليلة البدر ، وقد فرجت عنكم الشدائد ، وذهبت الأحزان عنكم ، حينها تستظلون تحت العرش ، في يوم يخاف الناس ولا تخافون ، ويحزن الناس ولا تحزنون (35) . اراد هذا السرد الروائي الاسطوري ان يؤصل لفكرة العفو عن الشيعة مهما اقترفوا من الذنوب اذ ان العفو عنهم صدر قبل خلق آدم عندما كانوا ارواحا مُثِّلَت لرسول الله فمروا عليه وهم يحملون راياتهم مع رايات الامة كلها ، فأختار النبي محمد ان يستغفر لعلي وشيعته دون غيرهم، ومع ان الرواية تتحدث قبل خلق الزمن والوجود الارضي، الا انها تحاول ان تخلق زمن مقدس خارج الزمن الحقيقي الزمن الذي عرضت فيه الارواح على النبي وتبين منها الخير والشرير ، أي ان محمد كان حاضرا في زمن المخيال قبل الخلق ويستغفر للشيعة دون غيرهم. ثم انها تستدعي فكرة الاخرة لتجعلها حاضرة شاخصة في الرواية ليكون يوم القيامة يوم الفصل الذي يتحقق فيه استغفار النبي لعلي وشيعته حيث يخرجون من قبورهم وجوههم كالقمر ويستظلون بظل العرش غير خائفين وغير محزونين كونهم بشروا بذلك في الحياة الدنيا لذلك لا يهتمهم الحساب ولا العقاب .

عمل المتخيل على صناعة مكان مقدس للخلق فيما ان القرآن اشار الى ان اصل الخلق هو التراب الذي صار طينا ثم تحول الى ماء في الاصلاب ليكون بشرا ، وهذا كله يدل على ارضية الانسان وتدني اصوله الخلقية، فأن الشيعة عملوا ان يجعلوا خلق الائمة من خارج مجال الارض حيث صنع المتخيل مكان مقدسا آخر غير مكان خلق الانسان وهو (عليين) والذي يزاحم في قداسته قداسة الملائكة الذين لم يكن خلقهم خلقا ارضيا، ففي رواية تذكر عن الصادق (ان الله خلقنا من عليين وخلق ارواحنا من فوق ذلك وخلق ارواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك فمن اجل تلك القرابة بيننا وبينهم قلوبهم تحن إلينا)⁽³⁶⁾. فالميزة التي ميزت الائمة انهم فوق خلق البشر الطبيعيين الذين خلقوا من طين الارض وبالتالي فأنهم ابعد من كونهم ارضيين ، فالوظيفة التي اعطيت لطينة عليين انها جعلت اهل البيت من الائمة وشيعتهم في قرابة دائمة لانهم خلقوا من نفس المكان العليّ .

ثم ان السرد الروائي الاسطوري ، لم يترك الطينة دون ان يعطيها وصفا دقيقا ليجعل لها وظيفة مهمة في الخلق، ففي خبر يروى عن الامام الباقر وهو يحدث جابر بن عبد الله الانصاري قائلا : خلقنا يا جابر نحن وشيعتنا من طينة بيضاء واحدة نقية من أعلى عليين ، فكان خلقنا من أعلاها وخلق شيعتنا من دونها ، فإذا كان يوم القيامة عجنت العليا بالسفلى ، وضربنا بأيدينا إلى حجرة نبينا ، وضرب شيعتنا بأيديهم إلى حجرتنا ، فأين يا ترى يضع الله نبيه واهل بيته ؟ وأين ترى يضع ذريته وشيعتهم ؟ فضرب جابر يده على يد الباقر قائلا : دخلناها ورب الكعبة ثلاثا⁽³⁷⁾ .

فالمتخيل يفرق بين درجات المكان الذي خلق منه الائمة وشيعتهم فمن اعلاها خلق الائمة ومن دونها خلق شيعتهم لكي يبقى على المقدس متعالي دائما ولا يمكن للمحبين ان يصلوا درجة اسيادهم حتى في الخلق، ولكن ذلك يمتزج يوم القيامة ليكون النبي مع ذريته من الائمة حيث يصيرهم الله ويكون المحبين حيث يصيرهم الذرية، مما يجعل جابر يعلن عن درجة فرحه ويؤكد دخول الجنة لأنه خلق من تلك الطينة العلية التي خلق منها المحبين الموالين .

ان الادعاء والزعم يأتي نتيجة للفقد والانعدام، ثم يتحول الى افتعال واختلاق ، فيؤدي الى نشأة المتخيل التعويضي عن ذلك الحرمان والافتقاد ، محاولة لصناعة (مثالا) او رمزا يحمل شحنة عاطفية ويكون رافدا يخذي العطش الروحي للجماعة فيدور حوله الجميع يأخذون من كراماته ويعيشون تحت فيضه القدسي، فهو الذي يسبق الجميع في الخلق ، وهو الذي كان قبل ان يكون طينة او بشرا ، فهو لم يكن ابدا طبيعيا في التكوين والولادة، فهو المعجزة الالهية من النشأة الى التكوين وحتى الوجود، فهو المعمد بالمعاجز والكرامات يمتلك القدرة على خرق العادات، ويتدخل في تحريك الاسباب وهو علة لكل معلول، ومن اجله ولأجله نشأ الوجود.

الخلق من ماء :

لم يدع الراوي امرا ممكن ان يوظفه لصالح عقيدته الا وأشتغل عليه فمرة يكون الخلق من نور ، ومرة يكون من طين من عليين ، واخرى يكون من ماء، ولكن هذا الماء لم يكن ماء عاديا كالماء الذي يشربه الناس انما له خصوصيته من القداسة والتبجيل ، وهو يحظى بالمكانة العالية فهو ماء من تحت العرش خارج جغرافية الارض ، بل لا يخضع لزمانية تاريخية ، ماء سماوي مشحون بشحنة القداسة ، يخلق منه الائمة دون غيرهم من البشر، جاء في الكافي حديثا منسوباً الى الامام الصادق قال فيه : إن الله إذا أراد أن يخلق امام من امام يبعث ملكا فيأخذ شربة من

ماء من تحت العرش ثم يدفعها إلى الامام فيشربها ، وبهدها يتحول هذا الماء الى رحم زوجة الامام ، فيمكث في رحمها أربعين يوما لا يسمع فيها كلام ، ثم يبدأ بعدها بسمع الكلام ، فإذا ولدته أمه يبعث الله له الملك الذي حمل الشربة ، فيكتب على ذراعه الأيمن " وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته " فإذا صار اماما يرفع الله له منارا في كل بلدة ينظر من خلاله إلى أعمال العباد (38) .

فالإمام هنا مخلوق من ماء يأتي به ملك من تحت العرش ليشربه الامام حتى يكون في صلبه ثم يتكون منه الامام الاخر، ولعل الوظيفة المهمة التي يطّلع بها هذا الماء انه بعد أربعين يوما من تشكل الامام يبدأ يسمع الكلام، ثم ان الملك يظل موكلا به حيث يأتيه بعد ولادته ليكتب على عضده الايمن ، ثم تكون بعد ذلك للإمام وظيفة النظر الى اعمال العباد من خلال منارا يرفع له . ولا يتوقف الامر عند ذلك بل ان الليلة التي يولد فيها الامام تكون ليلة خاصة ومباركة اذ بفضل هذه الليلة فان كل مولود يولد يكون مؤمنا حتى وان ولد في ارض الشرك فأَن الله ينقله الى الايمان ببركة الامام (39) . ثم كيف يعقل ان الامام ينظر الى جميع العباد الذين فوق الارض والذي يزيد عددهم على المليارات من خلال منار ، وما هي الفائدة المتحققة من ذلك النظر لأعمال العباد ؟ ، يبدو ان الرواية تحاول ان تعطي للإمام بعدا تكوينيا ، فتجعله موكلا على الارض وله امكانية التدخل في تغيير الاسباب الطبيعية .

المتخيل لا يتوقف عن انشاء حكاياته وتصورات المشحونة قداسة وهو يضمونها حالة التعويض والفقدان التي عانها طيلة انعدام حرية التعبير عن مكنوناته ، وما كان يعتقد من ان اغتصابا اصاب حقه في الارض ، ولكن السماء كانت دائما حاضرة في تعويض ذلك الفقدان، فإذا كان الخليفة الاسلامي يولد كبشر عادي، لم يكن الامام كذلك، انما كان يولد بطريقة مقدسة يحضر فيها الملائكة من قبل ان يتشكل جنينا حتى يكون بشرا مولودا ففي رواية تنسب الى الامام الصادق يقول فيها: ان الولادات التي تمت للائمة كانت من خلال شرب ماء من خلال كأس يأتي به ملك الى الامام الاول ، وتكون صفة الماء ارق من الماء العادي ، والين من الزيد ، واحلى من الشهد ، وابرد من الثلج ، وابيض من اللبن ، ثم ان الملك يأمر الامام بالجماع ، فيجامع زوجته فيعلق الامام الجديد من ذلك الماء ، وهكذا تتكرر هذه الامر مع الائمة الآخرين ، فكل إمام يولد تكون ولادته بهذه الطريقة ، بعد ان يشرب الامام الاب الماء من الكأس ويأمر بالجماع ، فيعلق فيها الامام الابن . ثم ان الامام يؤكد ان النطفة تنم من خلال هذا الماء المشروب ، وان النطفة تبقى في الرحم اربعة اشهر ، ثم تحل فيها الروح ، واذا وضعت امه يقع واضعا يديه على الارض ورأسه مرفوعا الى السماء ، ويعمل ذلك قائلا : ان وضع يديه الى الارض لكي يأخذ جميع علوم الله التي انزلها الى الارض ، اما رفع رأسه الى السماء ، فذلك لان مناديا ينادي به من بطنان العرش ، باسمه واسم ابيه ، ويقول له ، يا فلان اثبت تثبت ، ثم يتلو ما مكلف به بحق الامام ، ويختم ذلك بقوله : ثم وعزتي وجلالي لأصليين من عاداك أشد عذابي (40) .

من الواضح تماما ما يراد من هذه الرواية الاسطورية التي تريد ان تدعم مركز الامام الكوني ، وترفع منه الى ان تجعله فوق البشر ، من حيث الولادة والتكليف ، ثم ان هذه الرواية تختم بوعيد قاسي لأولئك المعادين للإمام ، فهو لم يكن بحال من الاحوال الا ماء سماويا نزل به الملك بأمر الله الى الارض ، فجانبا القداسة متصل به ، وهناك في جسده المتكون من الماء السماوي مسحة لاهوتية ممزوجة بالناسوت الارضي ، هذه الفكرة تقترب كثيرا من الفكرة اللاهوتية عند المسيح ، في جعل المسيح ذو طبيعتين احدهما إلهية ، واخرى بشرية ، متحدة في شخص المسيح دون

ان يختلطا او يمتزجا . ويمكن القول ان الكثير مثل هذه العقائد تسربت الى الغلاة من الشيعة ، ليؤسسوا عليها مباني روائية في الغلو بالأئمة .

كلمة اخيرة :

عمل المتخيل الشيعي الروائي المغالي على تأطير صورة الائمة بإطار البعد الزمني القدسي اذ ان الله خلقهم قبل ان يخلق ادم بأزمنة بعيدة، وكان هذا الوجود وجودا شبحيا لا ماديا، اذ ان خلق محمد(ص) واهل بيته كان قبل ادم بآلاف السنين، فقد صاغت المخيلة ان اسماء اهل البيت (محمد علي فاطمة حسن وحسين) مكتوبة على العرش ، وابليس يستجد بها لان يخرج من نار جهنم الى الجنة ⁽⁴¹⁾. وقد ذكر المتخيل الشيعي في رواية صاغها اراد منها ان يبين وظيفة اهل البيت ومنهم الحسين قبل خلق ادم وما دورهم في ذلك، فقد جاء جواب الحسين لحبيب بن مظاهر الاسدي عندما سأله (اي شيء كنت قبل ان يخلق الله آدم) قال : كنا اشباح نور ندور حول عرش الرحمن فنعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد⁽⁴²⁾. ان خطاب المتخيل يتأسس في حالات معينة، على نواة تاريخية، وكأن المتخيل هاهنا، يتغذى من بعض المعطيات التاريخية ويتخذها رافدا، كي يستمر وجوده من ناحية، ويتجاوزها لبناء خطابه الخاص من ناحية اخرى ⁽⁴³⁾.

ان المتخيل يطغى بفعله على التاريخ ويصادر بعض معطياته لصالحه، لينكئ في اغلب حالاته على بعض الحوادث او الاسماء او الامكنة لجعلها ادواته في تمرير غرضه الخاص الذي يهدف الى صياغة حوادث متخيلة تحمل دلالات جديدة ينشدها الخطاب الجديد، يسعى من خلالها الى تجسير علاقات جديدة بين التاريخ والمتخيل، يجعلها اكثر تشابكا بحيث يصعب فك الرباط بينها، وبيان الفاصل بين العلاقتين. ان الرواية الشيعية كثفت جهودها اولا بخلق اجواء ذهنية لها القدرة على تقبل ما يسال اليها من الروايات، فقد ركزت بشكل كبير على تشكيل المقدس في الذهن وتوسيع دائرته، ومنحه تشكيلا لصورة مضخمة من العصمة عن الذنوب، واعطائه كثافة من الفعل الاسطوري، وتكديس اطنان من الروايات ذات البعد الغيبي، حتى صار الذهن يتقبلها بكل اشكالها دون ان يتحرى معقوليتها. ففي حديث رجل سأل النبي عن من هو اعلى من الملائكة، فيجيبه(انا وعلي وفاطمة والحسن والحسين) كنا في سرداق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل ان يخلق الله آدم بألفي عام، فلما خلقه امر الملائكة ان يسجدوا ولم يأمرنا بالسجود فسجدوا الا ابليس ابي ولم يسجد ⁽⁴⁴⁾. هذا البعد الزمني الذي تحدده الرواية، لخلق النبي وآل بيته، انما هو بُعد متخيل تدفع به الرواية الشيعية ليكون ظاهره ديني وباطنه سياسي، فهو عملية تعويضية لما فقده الشيعة من مكانة في ظل سلطة مستبدة، عملت منهم جانب معارضة على طول الخط. ونتيجة لما قاموا به من ثورات عدة منيت اغلبها بالخسارة والفشل، دفعهم ذلك الى ايجاد بديل تعويضي يجعل من الشيعة في جانب المقدس الذي يمتلك القدرة على تحريك الجمادات، وهو المخلوق قبل ادم، وله كرامات تفوقه، حتى ان الله لم يأمر النبي واهل بيته بالسجود كما تصوره الرواية المتخيلة ، ففي قول ينسب الى الحسين بن علي (والله ما خلق الله شيئا الا وقد أمره بالطاعة لنا)⁽⁴⁵⁾ وهذا يعطي بعدا قدسيا يقترب ممن هو الهى واعلى من البشر والملائكة كون عالم الملائكة والبشر خارج اطار اهل البيت الذين كرمهم الله بعدم السجود لادم كونهم اكرم منه ومن الملائكة. فهذه الرمزية العالية التي شكلتها الرواية تمكنت ان تخترق الذهن لتؤسس لكائنات سماوية تعيش على الارض، خلقت قبل خلق السموات والارض، وقد عبر عنها بالنور، وان شيعتهم

كانت من نورهم، خلقت قبل خلق الملائكة، فقد جاء في الخبر عن بداية الخلق، ان رسول الله قال: (ان الله خلقتني وخلق علي وفاطمة والحسن والحسين والائمة من نور، فعصر النور عصرة فخرج منه شيعتنا، فسبحنا فسبحوا وقدسنا وقدسوا ... ثم خلق الله السموات والارض وخلق الملائكة فمكنت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحا ولا تقديسا ولا تمجيدا فسبحنا وسبحت شيعتنا فسبحت الملائكة لتسبحنا وقدسنا ، وقدسنا وقدست شيعتنا وقدست الملائكة لتقدسنا ... فوحدنا ووحدت شيعتنا فوحدت الملائكة لتوحيدينا ، فنحن الموجودون حين لا موحد غيرنا، وحقيق على الله تعالى كما اختصنا وشيعتنا ان ينزلنا اعلى عليين، ان الله تعالى اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل ان نكون اجساما فدعانا واجبنا، فغفر لنا ولشيعتنا قبل ان نستغفر الله ...) (46).

في روايات البدايات يحاول المتخيل أن يوظف عناصر الصراع بين الشيعة والسلطة، فيرمز للسلطة بالدنيوي (الارضي) وللائمة من اهل البيت بالمقدس (الساوي) وذلك من خلال الفصل بين خلق الانسان من طين (هو الذي خلقكم من طين) (47)، وبين خلق النبي واهل البيت (علي وفاطمة والحسين) من نور، عملية فصل واضحة الاغراض، فهو صراع السلطة بين العباسيين ابناء العباس بن عبد المطلب، والعلويين ابناء علي بن ابي طالب، فمقصد الخبر ان يجعل العباسيين من ابناء الطين البشر العادي، الذين تتاسلوا عبر الارحام البشرية، اما الذرية النبوية فهم تتاسلوا من نور حتى حين ولادتهم نزلوا الى الارحام المطهرة، ففي رواية تكشف عن هذه الابعاد، ان العباس بن عبد المطلب عم النبي (وجد العباسيين) سأل النبي: السنا انا وانت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة ؟ .

فأجابه النبي : اما قولك من نبعة واحدة فصدقت، ولكن يا عم ان الله تعالى خلقتني وعليا وفاطمة والحسن والحسين، قبل ان يخلق آدم، حيث لا سماء مبنية ولا ارض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا جنة ولا نار ولا شمس ولا قمر .

قال العباس: وكيف كان خلقكم يا رسول الله؟

قال الرسول: لما اراد الله ان يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نورا ثم تكلم بكلمة، خلق منها روحا فمزج بين النور والروح، فخلقني واخي عليا وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس، ثم لما اراد الله ان يخلق الخلق (48).

² تكوين 7:2.

³ ال عمران / 59 .

⁴ الفرقان / 54 .

⁵ السجدة / 5 .

⁶ المعارج / 12 .

⁷ الصافات / 11 .

⁸ الحجر / 7 .

⁹ الطبري، جامع البيان ، ج14، ص 36 .

¹⁰ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 56 .

¹¹ الرحمن / 14 .

¹² النساء / 1

¹³ ابن حنبل ، مسند احمد ، ج4، ص406 ؛ ابو داود السجستاني، سنن ابو داود ، ج2 ، ص 410 .

¹⁴ المجلسي ، بحار الانوار، ج5 ، ص228-231 .

¹⁵ الكليني، الكافي، ج2 ، ص 3 .

¹⁶ كحديث المنزلة : قال رسول الله (ص) لعلي : (انت مني بنزلة هارون من موسى) البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص209؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج7،

ص120؛ ابن حنبل ، مسند احمد، ج6، ص438 . وحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) ابن حنبل ، مسند احمد ، ج1، ص84؛ الترمذي، سنن الترمذي، ج5،

ص297؛ ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، ج1، ص45، النسائي ، فضائل الصحابة ، ص 14 .

¹⁷ الكليني، الكافي ، ج2 ، ص 3 .

¹⁸ الكليني ، الكافي، ج2 ، ص 4 .

¹⁹ المصدر نفسه ، ج2 ، ص 4 .

²⁰ طه / 55 .

²¹ الكليني ، الكافي، ج2 ، ص 4 ؛ الحويزي، تفسير الحويزي، ج5 ، ص 213 .

²² الجبر : القول بأن الانسان مسير بالكمال ، ولا ارادة له في افعاله ؛ اما التقويض : فيقول بتخير الانسان بالكمال ومستقل عن الله تماما ، ويذهب الشيعة الى الاعتقاد

بالأمر بين الأمرين : الانسان مختير في فعله ، لكنه يعتمد في فعله على القوة التي يخلقها الله (ان مذهبنا في افعال العباد انها مخلوقة لله من جهة التوفيق ومكتسبة لهم من

جهة الاختيار) الصدوق، الاعتقادات ، ص52-53 ؛

²³ الصفار، بصائر الدرجات، ص 37 ؛

²⁴ الكليني، الكافي ، ج1 ، ص 436 .

- ²⁵ المازندراني، شرح اصول الكافي، ج7، ص130 .
- ²⁶ الصفار، بصائر الدرجات، ص37 .
- ²⁷ الصدوق، التوحيد، ص327؛ المجلسي، بحار الانوار، ج4، ص89 .
- ²⁸ الصدوق، التوحيد، ص321 .
- ²⁹ الصفار، بصائر الدرجات، ص37 .
- ³⁰ الصفار، بصائر الدرجات، ص39؛ الكليني، الكافي، ج1، ص389؛ المجلسي، بحار الانوار، ج25، ص49 .
- ³¹ المجلسي، بحار الانوار، ج25، ص50 .
- ³² الاسراء/ 85 .
- ³³ الصفار، بصائر الدرجات؛ المجلسي، بحار الانوار، ج15، ص22 .
- ³⁴ الصفار، بصائر الدرجات، ص36؛ المجلسي، بحار الانوار، ج25، ص11 .
- ³⁵ الديلمي، اعلام الدين في صفات المؤمنين، المجلسي، بحار الانوار، ج65، ص27 .
- ³⁶ الصفار، بصائر الدرجات، ص40؛ الكليني، الكافي، ج1، ص389 .
- ³⁷ الصفار، بصائر الدرجات، ص36؛ المجلسي، بحار الانوار، ج25، ص11 .
- ³⁸ الكليني، ج1، ص387 .
- ³⁹ الطوسي، الامالي، ص412؛ المجلسي، بحار الانوار، ج51، ص28؛ الحسيني، تأويل الآيات، ج1، ص166 .
- ⁴⁰ الكليني، الكافي، ج1، ص385-387؛ الحر العاملي، الجواهر السنية، ص14؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج4، ص231؛ المجلسي، بحار الانوار، ج15، ص299 .
- ⁴¹ الصدوق، الخصال، ص639 .
- ⁴² الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص22 .
- ⁴³ الجمل، جدلية التاريخ والمتخيل، ص18-19 .
- ⁴⁴ الصدوق، فضائل الشيعة، ص7 .
- ⁴⁵ ابن شهر اشوب، مناقب آل ابي طالب، ج3، ص210 .
- ⁴⁶ المجلسي، بحار الانوار، ج26، ص344 .
- ⁴⁷ الانعام/ 2 .
- ⁴⁸ المجلسي، بحار الانوار، ج15، ص10؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج3، ص222 .

المصادر والمراجع :

- 1- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ) صحيح البخاري، دار الفكر (بيروت 1401هـ/1981م) .

- 2- البحراني، هاشم، (1107 هـ) مدينة المعاجز، مؤسسة المعارف (إيران 1413م) ..
- 3- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت 279هـ) سنن الترمذي، بتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر (بيروت 1403هـ / 1983م) .
- 4- الجمل، بسام، جدلية التاريخ، سيرة فاطمة، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع (المغرب، 2016) .
- 5- الحسيني، شرف الدين، تأويل الآيات، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث (قم، 1407هـ)
- 6- ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ) . مسند أحمد، دار صادر (بيروت . د . ت) .
- 7- الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي (ت 1112 هـ) تفسير نور الثقلين، تحقيق هاشم الرسولي (قم 1412 هـ)، ط4
- 8- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ) سنن أبي داود، دار الفكر (بيروت، 1410هـ / 1990م)
- 9- الدلمي، الحسن بن أبي الحسن، اعلام الدين في صفات المؤمنين، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث (قم، د . ت)
- 10- ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت 588هـ) مناقب آل أبي طالب، الحيدرية (النجف 1376هـ / 1956م) .
- 11- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت 381هـ) علل الشرائع، المكتبة الحيدرية (النجف 1386هـ / 1966م)
- 12- الخصال، تحقيق علي أكبر غفاري (قم 1404هـ)، ط2 .
- 13- فضائل الشيعة، كانون انتشارات عابدي (طهران، د . ت) .
- 14- الاعتقادات، دار المفيد (بيروت، 1993) .
- 15- الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن القمي (ت 290هـ) بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ص)، منشورات الاعلمي (طهران 1362هـ) .
- 16- الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير (ت 310هـ) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق خليل الميس، دار الفكر (بيروت 1415هـ / 1995م) .
- 17- الطوسي، أبو جعفر بن محمد بن الحسن (ت 460هـ) الامالي، دار الثقافة (قم 1414هـ) .
- 18- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت 329هـ) الكافي، تحقيق علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية (طهران، 1363هـ) ط5
- 19- المازندراني، محمد صالح (ت 1081هـ) شرح اصول الكافي، كتاب الكافي في الاصول والروضة، دار احياء التراث العربي (بيروت 1421هـ / 2000م) .
- 20- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، د . ت) .
- 21- المجلسي، محمد باقر (1111هـ) بحار الانوار، تحقيق، السيد ابراهيم الميناجي و محمد الباقر البهبوي، مؤسسة الوفاء (بيروت، 1403هـ / 1983م) .
- 22- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت 261هـ) صحيح مسلم، دار الفكر (بيروت . د . ت) .
- 23- النسائي، أحمد بن شعيب (303هـ) سنن النسائي، دار الفكر (بيروت، 1930) .